

المسيحيون في سوريا مارسوا العمل الوطني إلى أعماقه وهو الذي من أولئك الشركس الذين حاربوا القياصرة

رداً على "تصححات" المحامي كمال أبو لطيف لمقالي المنشور في الملحق الصادر في 22 . 8 . 1971 بعنوان "رحلة طويلة منذ أول رئيس فريق للحكومة السورية بعد العثمانيين" أرجو نشر الآتي:

1 . لم أقل أن الفريق عفيف البزري كان "فريقاً" في عهد ما قبل الوحدة، بل قلت بالحرف الواحد: من الصدف الغريبة أن يكون الرئيس السوري حافظ الأسد انتخب رئيساً للجمهورية الخامسة والعشرين يوم الثالث عشر من آذار 1971 وهو يحمل رتبة فريق جوي في الجيش وهي . وحديثي لا زال عن الرتبة . الرتبة الأعلى في القوات المسلحة، وقد سبقه إليها . سبقه إلى حمل هذه الرتبة كل من: عفيف البزري رئيس أركان الجيش قبيل عصر الوحدة وأثناءها قائداً للجيش الأول.. الخ. لم أقل أن عفيف البزري كان فريقاً قبيل عصر الوحدة بل قلت إن رتبة "الفريق" التي يحملها الرئيس السوري سبقه إلى حملها كل من البزري وفيصل وزهر الدين والأتاسي والصوفي والحافظ فضلاً عن رضا الركابي الذي ترأس حكومة سورية في 5 تشرين الأول 1918.

2 . كذلك لم "أفقط" في حديثي المختصر عن الثورة السورية امتداد لهيبتها من "جبال حوران حتى غوطة دمشق وأحيائها الجنوبية والشرقية فقط".

قلت في مقالي: "إن كان التاريخ يسجل على صبحي بركات تشكيله لثلاث وزارات في هذه الفترة، فإنه يسجل للشعب المقاتل في سبيل استقلاله ووحدته، ثورته المسلحة التي وإن لم يكن لها الشمول القومي الواسع فإنها كانت منعطفاً تاريخياً هز فرنسا وأكد لها أن الشعب الذي "انتدبت" نفسها لتحضيره وتمدينه يرفض

حضارتها ومدنيتها الزاحفة إليه في الدبابات.

وقلت كذلك "كانت ردود الفعل الوطنية للثورة المسلحة التي اندلعت في تلال جبل حوران وامتد لهيبها حتى غوطة دمشق وأحيائها الجنوبية والشرقية كبيراً..".

فمن أين جاء الأستاذ أبو لطيف بـ "فقط" أضافها إلى جملتي ليظهرني وكأنني ناكر لبطولات الثوار من بني معروف أولاً ومن غير بني معروف ثانياً، تلك البطولات التي لم يكن أولها معركة "المزرعة" ولا آخرها سلم الأجساد البشرية يصنعه أولئك الصاعدون أعالي أسوار قلعة راشيا..

3. لم أقل في مقالي إن الثورة انتهت في 26 نيسان 1926. الذي قلته بالحرف: "الأمر الذي دفع المفوض السامي، وقد فشل كل المتعاونين معه في تأليف حكومة، إلى تكليف بيار اليبب الفرنسي تشكيل وزارة "استمرت محاولاتها" لسحق الثورة عاماً وبعض عام (9 شباط 1925 . 26 نيسان 1926) فلما فشلت جاء المفوض السامي بالداماد أحمد نامي رئيساً للدولة".

فإذا كانت كلمتا "استمرت محاولاتها" لا تعني استمرارية المحاولة، وكلمة "الفشل" لا تعني بالتالي أن محاولة السحق فشلت، فماذا كان علي أن أقول للقارئ كي أفهمه أن محاولة لسحق الثورة جرت فلما فشلت جيء بمن يجد لإطفاء نارها وسيلة وحلاً؟

4. أما كون الداماد أحمد النامي كردياً لا شركسياً فهذا أمر لا يساوي الحوار حوله قيمة الوقت الذي يهدر. إن معاصري الداماد من حسني البرازي إلى فارس الخوري إلى نصوحي البخاري إلى شاكر الحنبلي يعرفون أن الداماد أحمد نامي كان شركسياً.

أكثر من ذلك إن والدي المرحوم وصفي زكريا البحاثة والمؤرخ كان صديقاً لأحمد نامي وكلاهما ينتسب إلى عشيرة "الشبصغ" الشركسية التي قاتل فرسانها،

تحت راية الشيخ شامل الزعيم القفقاسي المشهور ، استعمار روسيا القيصرية سنين طويلة في القرن التاسع عشر .

وسواء أكان أحمد نامي شركسياً أم كردياً فالأمر سيان .. لقد كان رئيساً لدولة استطاعت في تركيبها الكيميائي العجيب وعبر خمسة آلاف سنة أن تمتص القوميات كلها والأجناس كلها عدا اليهود .

5 . هل كان من الضروري "جداً" أن أذكر "مسيحية" سليم جنبرت مقروناً بموقف الرفض الذي وقفه من معاهدة "الصدقة والتحالف" لأؤكد "الوحدة الوطنية والإيمان بالعمل الوطني ورفض المسيحيين في سورية للانتداب الفرنسي"؟

من قال إن المسيحيين في سورية في حاجة إلى "براءة ذمة" أو شهادة "حسن سلوك" في العمل الوطني؟ من قال عنهم أنهم "أقل" وطنية من غيرهم أو أكثر "قرباً" للفرنسيين من "الشيخ" تاج الدين الحسين مثلاً أو محمد علي العابد أو أحمد نامي أو جميل الاشبي أو عطا الله الأيوبي أو حتى علاء الدين الدروبي الذي قتله ثوار الجولان يوم 21 آب 1920 لأنه صنيعة فرنسا حتى ذاك الصباح؟

وما رأيك في وطنية فارس الخوري مثلاً غير المقرونة بلقب "مسيحي"؟ أو في ترؤسه للعديد من الوزارات أو لمجلس الأمن أو في عضويته لمحكمة العدل الدولية أو حتى في آيات الذكر الحكيم الذي كان المرتل يتلوها عن روحه بعد وفاته وبوصية منه وبتنفيذ من ابنه سهيل؟

6 . في تصحيحك تاريخ الجلاء الفرنسي عن سورية وتحديده في 17 نيسان 1946 بدلاً من 17 نيسان 1945 الحق معك . والخطأ عندي ليس تاريخياً ولا تاريخياً ، لأنني عشت الجلاء عن بلادي وأنا فتى في الخامسة عشرة وسرت في صفوف كشافته أحمل علم النسر رمز فرقتي يومذاك . لكن ما حيلتي يا سيدي في الأيدي التي طبعت مقالتي فقلبت حرف الستة إلى خمسة؟

7 . من فجر 14 آب 1949 حين أعدم حسني الزعيم ومحسن البرازي حتى

السابعة والربع من صباح 14 كانون الأول 1949 موعد نشرة أخبار راديو دمشق وإذاعة خبر تعيين هاشم الأتاسي رئيساً مؤقتاً للدولة السورية، بين هذين التاريخين سمي اللواء سامي الحناوي رئيساً للمجلس الحربي الأعلى. فهل كانت السلطات التي منحها "المجلس الحربي الأعلى" للمرحوم الحناوي سلطات رئيس ووزير خارجيتها ناظم القدسي ووزير داخليتها رشدي الكيخيا ووزير عدلها المرحوم سامي كباره؟

في اعتقادي إن الحناوي لم يمنح صلاحيات رئاسة الدولة حتى يمارسها عملاً بين تشريع وتنفيذ بل ترك هذه الأمور للرئيس الأتاسي واكتفى بدوره في مجلسه الحربي وهو . رحمه الله . معروف عنه البساطة والطيبة، الصفتان اللتان لا تتوافقان دائماً مع العمل السياسي.

أما الفريق زهر الدين "فلرئاسته" حكاية أخرى..

فهو في المؤتمر الصحافي الذي عقده في نادي ضباط حامية دمشق صباح يوم 28 آذار 1962 وتلا فيه بيان الانقلابيين عن "حركتهم" قال وبالحرف الواحد: "واليوم وقد تسلم الجيش مهمات السلطتين التشريعية والتنفيذية..". أي أنه لم يقل أنه هو بالذات قد تسلم مهمات السلطتين. فلما نوقشت "القيادة الثورية" في نص البيان "كلفته" يوم 2 نيسان 1962 تسلم زمام الحكم نيابة عنها أي أنه كان وكيلاً ولم يكن أصيلاً.. وبموجب هذا التوكيل أصدر مراسيم حل المجلس النيابي وقبول استقالة رئيس الجمهورية وإقالة وزارة معروف الدواليبي وتكليف الأمناء العامين تسيير أمور الوزارات.. الخ. لكنه بعد "الاتفاق الجنتلمن" السري الذي وقعه مع الرئيس القدسي . هو من خلف مكتبه في وزارة الدفاع والدكتور القدسي من سجنه في مستشفى يوسف العظمة العسكري . ذهب إلى التلفزيون والإذاعة ليعلن للشعب "إن كلمة الجيش العربي السوري أجمعت على أن المصلحة الوطنية العليا تفرض عليه أن يعلن رفض الجيش والشعب لاستقالة رئيس الجمهورية".

أي أن زهر الدين قبل بتوكيل من "القيادة الثورية" استقالة رئيس الدولة ثم أعلن بالتوكيل ذاته رفض الجيش والشعب للاستقالة.

فهل هذا يعني أنه كان رئيساً للدولة طيلة الفترة التي امتدت من 28 آذار إلى مساء 13 نيسان 1962.

وشيء أخير:

لقد رفع عبد الكريم زهر الدين إلى رتبة لواء في 1 كانون الثاني 1961 وإلى رتبة فريق في 1 كانون الثاني 1963.

وهنا ليسمح لي المحامي أن "أصح" له بدوري:

كيف يكون "الفريق" زهر الدين "فريقاً" يوم رأس الدولة مدة 17 يوماً بين 28 آذار 1962 و 14 نيسان 1962 ومرسوم ترفيعه وقعه رئيس الجمهورية قبيل عشائه المشهور مع قائد جيشه في 1 كانون الثاني 1963.